تطوُّر العناية بثقافة المحقِّق في التقاليد العربية
(الحدود والخصائص)

خالد فهمي
كلية الآداب
جامعة المنوفية

ملخَّص

يعالج هذا البحث أشكال التنظير لعناصر ثقافة المحقَّق بما هي أصل وأساس في المعالَجات المعاصرة لقواعد علم تحقيق النُّصوص التُّراثية.

ويلوذ هذا البحث بالمطالب التالية؛ سعيًا لبيان أشكال هذا التطور، وملامحه وحدوده وخصائصه:

١- مدخل: المحقَّق والمؤلِّف: أمَّة واحدة.

٢- حدود خريطة العناية بثقافة المحقِّق في الأدبيات العربية المعاصرة (الحدود الزمنية والمنهجية).

٣- الحدود الموضوعية للعناية بعناصر ثقافة المحقِّق في الأدبيات العربية المعاصرة.

٤- تطور العناية بعناصر ثقافة المحقِّق في الممارسة العملية المعاصرة: دراسة حالة.

وقد كشفت هذه المحاولة التحليلية عن مراحل ثلاثة لتطور العناية بعناصر ثقافة المحقِّق في التقاليد العربية المعاصرة، واقترحت مسارًا آخر لتطوير المعالَجة التنظيرية لهذه القضية.

الكلمات الدالَّة

[ثقافة المحقِّق - تحقيق النُّصوص التُّراثية- النَّص التُّراثي]

-١-

مدخل: المحقِّق والمؤلِّف بعضهما من بعض

لا تخرج طبيعة العَـلاقة بين مؤلِّف النَّص التُّراثي، ومحقِّقه المعاصر عن أحد موقعين، هما:

أولًا: موقع المؤاخاة، بوصف الثاني صنوًا للأول، وهذه العَلاقة يؤسِّس لها استواؤهما في طلب الغاية الماثلة في أداء النَّص التُّراثي عن مخطوطته أو مخطوطاته صحيحًا متقنًا، ويؤسِّس لها كذلك مساواتهما في المعرفة بعـلم النَّص وقضـاياه ومسـائله وجهازه الاصطلاحي.

ثانيًا: موقع تفوق الثاني (المحقِّق) على الأول (المؤلِّف) في العلم والخبرة والتجرِبة بالعلم موضوع النَّص؛ وهذه العَلاقة يؤسِّس لها فحْص الغاية التي ينهض بها المحقِّق من حيث كونه حاكمًا على الحقيقة، وقاضيًا يفصل في كل ما يتعلق بالنَّص الوارد في أوعيته المادية؛ المخطوطات عند تعدد الروايات.

وهذان الموقعـان ندَر مَن وقف راصـدًا أبعادهما من المنظِّرين المعاصرين في الأدبيات الغربية المعاصرة لعلم تحقيق النُّصوص التُّراثية[١].

يقول محمد ألتونجي [ص١٥٤]: «يرى بعضهم أن المحقِّق أعلى رتبةً من المؤلِّف ويرى آخرون أن الأول صِنْو الثاني».

وهذا المدخل هو المنطقُ الطبيعيُّ الذي يفسِّر - في الحقيقة - العناية بمطلب ثقافة المحقِّق في الأدبيات المعاصرة المنظِّرة لعلم تحقيق النُّصوص التُّراثية؛ على مستويات الفلسفات الحاكمة والتقنيات والمراحل والإجراءات والغايات المنشودة.

وهذا مـا لمسه محمـد ألتـونجي عنـدما قـال [ص١٥]: «وعلى هـذا فـإن الثقافـة **ضرورية**... ذلك أن ثقافة المحقِّق ضرورة لتقديم **النَّص الحيّ** إلى القـارئ، ويفـترض أن يثقف نفسَه بالعلوم التي أجادها المصنِّف حين ألف كتابه»!

---

(١) المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص١٥٤.

وليس من هدف هذا المدخل التورُّط في رصْد الأسباب المفْضِية إلى تفضيل أحد الاثنين على أخيه. ولكن الهدف بيان وجاهة العناية بمبحث «ثقافة المحقِّق» من جانب المنظِّرين لقواعد علم تحقيق النُّصوص التُّراثية وأسسه وإجراءاته؛ وقد اتخذت هذه العناية أشكالًا مختلفة في رحلة تطور التأليف في هذا المجال المعرفي الأصيل.

- ٢ -

تطوُّر العناية بثقافة المحقِّق

الأدبيات العربية المعاصرة: محاولة لترسيم خريطة الحدود

إنَّ مراجعة الأدبيات العربية المعاصرة لعلم النُّصوص التُّراثية تكشف عن جملة من الخرائط الكاشفة لحدود عنايتها بقضية ثقافة المحقِّق.

وهي خرائط يحكمها تنوع الاعتبارات الحاكمة من الزمن، والنَّسق التأليفي والكثافة المادية لنصوص العناية المعاصرة بثقافة المحقِّق.

وفي ما يلي بيانٌ لثلاثة خرائط تعكس أنماط العناية بحدود معالَجة هذه القضية في الأدبيات العربية المعاصرة.

٢/١- خريطة حدود «ثقافة المحقِّق» من المعيار الزمني

يُلحظ أن بداية العناية بهذه القضية في التقاليد العربية المعاصرة جاءت مع أعمال الرُّواد، متمثِّلة مع عمل الرائد عبد السلام هارون (تحقيق النُّصوص ونشرها) في طبعته الأولى سنة ١٩٥٤م[(١)]؛ إذ يقول: «إن نتاج الثقافة الإسلامية العربية متواشجُ الأنساب، متداخلُ الأسباب، **وحِذْق المحقِّق وسَعة اطلاعه** يَهْديانه إلى اختيار المراجع التي يتطلَّبها تحقيق كتاب ما».

ولم تتوقف هذه العناية بقضية ثقافة المحقِّق على امتداد العقود الستة التالية لهذه البداية، وإن اتخذت أشكالًا متفاوتة الحضور من عقد لآخر بطبيعة الحال.

(١) تحقيق النُّصوص ونشرها، ص٦٣.

٢/٢- خريطة حدود العناية بثقافة المحقِّق من منظور النَّسق التأليفي

وقد اتخذت خريطة حدود العناية بقضية ثقافة المحقِّق الأشكال التالية بتحكيم معيار النَّسق التأليفي:

أولًا- الحضور الرمزي العابر، وتمثِّله أدبية الرائد عبد السلام هارون الصادرة في ١٩٥٤م.

ثانيًا- الحضور الظاهر المختلط.

وأقصد به النَّصَّ على قضية «ثقافة المحقِّق» مختلطًا بالحديث عن صفات الباحث في المجالات المعرفية اللغوية والأدبية، أو مختلطًا بغيره من مباحث أسس علم تحقيق النُّصوص التُّراثية، ويمثل هذه الخريطة الأدبيات التالية:

- ١٩٨٠م/ حسن الشافعي، حيث ظهرت قضية العناية بثقافة المحقِّق في سياق الحديث عن (بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربية)[(١)].

- ١٩٨٣م/ مطاع الطرابيشي (منهج تحقيق المخطوطات)[(٢)].

- ١٩٨٣م/ عبد المجيد دياب (تحقيق التُّراث العربي)[(٣)].

- ١٩٨٤م/ أحمد محمد الخراط (محاضرات في تحقيق النُّصوص)[(٤)].

- ١٩٨٦م/ عبد السلام محمد عبده (معالم الطريق إلى البحث والتحقيق)[(٥)].

- ١٩٨٦م/ محمد ألْتونجي (المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات)[(٦)].

---

(١) بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربية، ص١٠٨.

(٢) منهج تحقيق المخطوطات، ص٣٣.

(٣) تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، ص١٥٤.

(٤) محاضرات في تحقيق النُّصوص، ص١١.

(٥) معالم الطريق إلى البحث والتحقيق، ص٣٢٢.

(٦) المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص١٥٤.

- ١٩٩٣م/ يحيىٰ الجبوري (منهج البحث وتحقيق النُّصوص)[١].

- ١٩٩٥م/ عبد الله عبد الرحيم عُسَيْلان (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنَّهْج الأمثل)[٢].

- ٢٠٠٣م/ إياد خالد الطَّباع (منهج تحقيق المخطوطات)[٣].

- ٢٠٠٤م/ عبد الله الحوثي (كتاب الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات)[٤].

- ٢٠٠٤م/ فخر الدين قَباوة (علم التحقيق للمخطوطات المعرفية)[٥].

- ٢٠١٣م/ فؤاد عبيد (منهج تحقيق النُّصوص)[٦].

- ٢٠١٤م/ مروان العطية (دليل المحقِّقين والباحثين في تحقيقاتهم وأبحاثهم)[٧].

- ٢٠١٦م/ محمد صالح فرحات (مفهوم التحقيق: الغاية والأداة)[٨].

ثالثًا- الحضور المستقل.

وقد اتخذت العناية بقضية ثقافة المحقِّق شكلًا آخر مستقلا تمثلت خريطته في ظهورها في شكل تأليف مستقل تبلور في صورتين:

١- إحداهما موجَزة مختصَرة يمثلها عَمَلا كل من:

---

(١) منهج البحث وتحقيق النُّصوص، ص١٥٩.

(٢) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص٤١.

(٣) منهج تحقيق المخطوطات، ص٤١.

(٤) كتاب الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات، ٢/٥٣٧.

(٥) علم التحقيق للمخطوطات المعرفية، ص٥١.

(٦) منهج تحقيق النُّصوص، ص٢٣٨.

(٧) دليل المحقِّقين والباحثين في تحقيقاتهم وأبحاثهم، ص١٦٧.

(٨) مفهوم التحقيق: الغاية والأداة، ص٧-٣٥.

- ٢٠٠٩م/ عصام الشَّنْطي (ثقافة المحقِّق)[١].

- ٢٠١٧م/ حسين نصار (ثقافة محقِّقي التُّراث)[٢].

وإذا كانت هاتان المعالَجتان قد تنبَّهَتا إلىٰ عناصر ثقافة المحقِّق فإن ثمة معالَجة أخرىٰ مستقلَّة ذهبت أبعد حين أفردت العناصر الأخلاقية بالفحص، هي مقالة فيصل الحفيان (أخلاقيات التحقيق)[٣]، وهي محاولة سعت إلىٰ تحرير «السلوك الأخلاقي للمحقق في تعامله مع النَّص (حتىٰ) ينضبط... ويؤدي واجبه العلميَّ».

٢- آخرهما موسَّعة مفصَّلة، ويمثِّلها عمل محمود مصري (ثقافة المحقِّق)[٤].

٣/٢ خريطة حدود العناية بثقافة المحقِّق من المنظور الكمِّي

وقد ظهرت العناية بثقافة المحقِّق من المنظور الكمِّي، أو من منظور كثافة النُّصوص التي اهتمت بأبعاد القضية - في ثلاثة أنواع من الخرائط، هي:

١- خريطة النوع الإشاري الذي لم يشغل حيزًا ماديًّا يذكر، وإنما جاء في صورة سطور عابرة تشير إلىٰ القضية وتَلْمسها بصورة غير مقصودة.

٢- خريطة النوع الاختصاري المختلِط بغيره من مباحث علم تحقيق النُّصوص التُّراثية، وهو ما اتخذ مدًى من فقرة إلىٰ عدة فقرات معدودة لا تتجاوز بضعة صفحات.

٣- خريطة النوع المستقلِّ.

وقد اتخذ هذا النوع شكلين ظاهرين هما:

- شكل المقالة المستقلَّة (من عدَّة صفحات) قسَّمها صاحبُها في الغالب إلىٰ مجموعة من العناصر الداخلية.

---

(١) ثقافة المحقِّق، ص٥٣-٥٩.

(٢) ثقافة محقِّقي التراث، ص٦١.

(٣) أخلاقيات التحقيق، ص٣٠٥-٣١٦.

(٤) ثقافة المحقِّق، ص٥-١٦١.

- شكْل الكتاب المستقلّ (من عدَّة فصول) قسمها صاحبُه إلىٰ عدد من الفصول علىٰ وَفْق تطبيقات متعددة.

وهذه التقاسيم المحكومة بثلاثة المعايير المشار إليها هي أظهر التقاسيم الممكِنة لخرائط أدبيات علم تحقيق النُّصوص في التقاليد العربية المعاصرة.

ولا يعني ذلك عدم إمكان تمثيل خرائط أخرىٰ تبعًا لمعايير أخرىٰ، بل إن تحكيم معيار كالمعيار المكاني / أو الجغرافي قادرٌ علىٰ أن ينتج خريطة تتوزع فيها العناية بقضية ثقافة المحقِّق تبعًا لذلك علىٰ الجغرافيا العربية، فيظهر في العناية بها في المشرق العربي في مقابل تراجع ظاهر للعناية بها في المغرب العربي.

وفي داخل المشرق تمثِّل مصر مكانة مرموقة من منظور الإحصائي، تليها سورية، ثم العراق، ثم فلسطين، ثم اليمن، ثم المملكة العربية السعودية.

ويُظهر الجدول التالي كثافة حضور العناية بثقافة المحقِّق في العيِّنة المختارة في البحث:

البلد	العدد	البلد	العدد
مصر	٦	فلسطين	٢
سورية	٦	اليمن	١
العراق	٢	السعودية	١

وقد ظهرت العناية المستقلَّة بقضية ثقافة المحقِّق في البلدان التالية:

البلد	العدد
مصر	١
فلسطين	١
سورية	١

- ٣ -

تطور العناية بثقافة المحقِّق: قراءة في الحدود الموضوعية

بعد الإشارة الموجَزة التي أطلقها الراحل عبد السلام هارون عن ضرورة توفُّر ما سماه: «حِذْق المحقِّق، وسَعة اطلاعه» [ص٦٣]؛ لأجل معالَجة النَّص التُّراثي عند تحقيقه، وما يتطلَّب ذلك من معرفة بالمراجع اللازمة لمتطلَّبات التخريج والتعليق والتوثيق والترجيح = أخذت العناية الموضوعية بثقافة المحقِّق في الأدبيات العربية المعاصرة على اختلاف أنساقها التأليفية مسارين جامعين هما:

- المسار غير المصنَّف لعناصر ثقافة المحقِّق.
- المسار المصنَّف لعناصر ثقافة المحقِّق.

وفي ما يلي رصْدٌ كاشف لخريطة هذين المسارين في الأدبيات العربية المعاصرة عينة الدراسة:

١/٣- الحدود الموضوعية لعناصر ثقافة المحقِّق غير المصنَّفة في الأدبيات العربية المعاصرة لتحقيق النُّصوص التُّراثية: قراءة الأدبيات

أظهرت مراجعة الأدبيات العربية المعاصرة التي اعتنت برصد أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية وقواعدها وإجراءاتها نزوعًا كبيرًا نحو جمع أكبر عدد ممكن من العناصر اللازمة لبناء ثقافة المحقِّق - كان الغالب عليها بيانها مجموعة من غير تصنيف معرفي لحزمها المتمايزة؛ بمعنى حشْدها مجموعة من دون تفريق بين عناصر ثقافة المحقِّق العلمية والمِهْنية المتعلِّقة بصناعة التحقيق، والأخلاقية التطبيقية.

ومن أبرز الأدبيات العربية المعاصرة التي جمعت هذه العناصر غير مصنَّفة ما يلي:

١- ١٩٨٤م/ أحمد محمد الخرَّاط، الذي جمع في مبحث شروط المحقِّق ما يلي [ص١٩]: (١. الصبر والجلد، ٢. التمكُّن من مادة النَّص مَشْغَلة التحقيق، ٣. الدراية بتاريخ العلم موضوع النَّص، ٤. تحصيل العلم بمكتبة العلم موضوع النَّص ومصادِره، ٥. معرفة قواعد لتحقيق).

ويتضح من هذه القائمة سَرْد الصفات الأخلاقية (١)، والمعرفية (٢-٤)، والمهْنية المتعلِّقة بصنعة التحقيق (٥) معا في حيِّز واحد من غير تصنيف يميِّز بينها !

٢- ١٩٨٦م/ عبد السلام محمد عبده، الذي ذكر في مبحث: صفات المحقِّق الجيد [ص٢٢٣]: (١. الصبر، ٢. التمرُّس على قراءة النسخ المخطوطة، ٣. الإلمام بالموضوع؛ فن النَّص، ٤. العلم بمصادر موضوع النَّص أو فنِّه).

ويتضح من هذه القائمة الجمع بين العناصر الأخلاقية (١)، والمهْنية الخاصة بصنعة التحقيق (٢)، والمعرفية المتعلِّقة بالعلم أو الموضوع الذي ينتمي إليه النَّصُّ محلُّ التحقيق.

٣- ١٩٩٥م/ عبد الله عبد الرحيم عُسَيْلان، الذي جمع في بيانه صفات المحقِّق [ص٤١] ما يلي: (١. الإحساس بقيمة التُّراث، ٢. الحب والتعلُّق بالتُّراث، ٣. الصبر، ٤. الخبرة والتمرُّس بالتحقيق، ٥. العلم بموضوع النَّص، ٦. الاطلاع الواسع على المكتبة العربية التُّراثية، ٧. الأمانة العلمية في التصحيح، ٨. الإلمام بلغة النَّص).

وقد ظهر نمط من التوسُّع في عناصر ثقافة المحقِّق ضمت بالإضافة إلى العناصر الأخلاقية (٣)، (٧)، والمعرفية (٥)، (٦)، (٨)، والمهارية أو المهْنية المتعلِّقة بعلم التحقيق وقواعده وإجراءاته (٤) = نوعًا آخر من العناصر والمكونات النفسية والوجدانية (١)، (٢)، وهي إضافة مهمَّة سبق إلى تفصيلها الرائد الكريم عبد السلام هارون في كتابه (التُّراث العربي)[1]، في سياق حديثه عما سمَّاه: «الإيمان بالتُّراث»، وما يتطلَّبه ذلك من البحث عن كيفية استعادة الإيمان في أزمنة الهزيمة الحضارية، وما يترتب على ذلك من إجادة الدفاع عنه.

٤- ٢٠٠٣م/ إياد خالد الطَّباع، الذي جمع العناصر التالية [ص٤١] من صفات المحقِّق: (١. الأمانة في أداء النَّص التُّراثي صحيحًا عند تحقيقه، ٢. الصبر والأناة، ٣. التمكُّن العلمي، ٤. الخبرة في الصنعة، ٥. الثقافة الواسعة، ٦. الخبرة اللغوية المختصة، ٧. التواضع).

---

(١) التراث العربي، رقم ٣٥.

وما هنا استمرار لهذا الجمع غير المصنَّف لمجموعات العناصر اللازمة لتكوين المحقِّق، وبناء ثقافته، حيث اجتمعت عناصر أخلاقية (١)، (٢)، (٧)، ومعرفية (٣)، (٦)، ومهارية مِهْنية في الصنعة التحقيقية (٤).

وتراجع ظهور العناصر النفسية والوجدانية التي سبق أن ظهرت عند عبد الله عبد الرحيم عُسَيْلان.

٥- ٢٠٠٩م/ عصام الشَّنْطي، الذي جمع في حديثه المستقلّ عن عناصر ثقافة المحقِّق [ص٥٣-٥٩] ما يلي: (١. الدِّراية باللغة، ٢. التخصُّص في موضوع النَّص، ٣. دراسة الخطوط العربية، ٤. سَعة المعرفة بالمكتبة العربية التُّراثية، ٥. تحصيل قواعد التحقيق، ٦. الأمانة والصدق).

والحقيقة إن معالَجة الراحل الكريم عصام الشَّنْطي لعناصر ثقافة المحقِّق وإن لم يصنِّفها مجموعات متمايزة - جاءت شبه مصنَّفة، وهو حكْم يعتمد على قرينتين ظاهرتين هما:

أولًا: قرينة التنبُّه لخطر معالَجة قضية ثقافة المحقِّق في نَسَق تأليفي مستقلّ، غير مختلط بغيره من القضايا النظرية في التنظير لعلم تحقيق النُّصوص التُّراثية.

ثانيًا: قرينة الترتيب التي حكمت معالَجة هذه العناصر وَفْق هذا البناء، حيث ظهرت العناصر المعرفية أولًا (١)، (٢)، ثم تلتها العناصر المِهْنية الإجرائية المتعلِّقة بصنعة التحقيق (٣)، (٤)، (٥) وإن رصدها مفصَّلة في (٣)، (٤) ثم مجملة في (٥) ثم العناصر الأخلاقية (٦).

لكن تبقى هذه المحاولة ضمن المحاولات غير المصنَّفة؛ بسبب عدم تصريح صاحبها بهذا النَّسق التصنيفي لحُزَم عناصر ثقافة المحقِّق.

٦- ٢٠١٧م/ حسين نصار، الذي قرر أن عناصر ثقافة المحقِّق (ص٦١) متشعِّبة، يكاد ينطبق عليها عبارة: «الأخذ من كلِّ علم بنصيب» - على حدِّ تعبيره - والعناصر المذكورة عنده هي: (١. العلوم اللغوية، ٢. العلوم الدينية، ٣. العلم بالمراجع العامة والخاصة، ٤. العلم بالخطوط).

وكما نرى جاءت العناصر عنده معرفية، وصناعية فقط.

٢/٣- الحدود الموضوعية لعناصر ثقافة المحقِّق المصنَّفة في الأدبيات العربيـة المعـاصرة لتحقيق النُّصوص التُّراثية: قراءة الأدبيات

ظهر نوع من التنبُّه التصنيفي المعرفي إلىٰ معالَجة عناصر ثقافة المحقِّق في الأدبيات العربية المعاصرة لعلم تحقيق النُّصوص التُّراثية.

وهذا النمط بدا متأثرًا بنتائج تصنيف العلم بصورة أولية أو ساذَجة، وهو ما انعكس علىٰ معالَجات عدد من أدبيات التنظير المعاصر لقواعد هذا العلم وأسسه وإجراءاته في هذه القضية المهمَّة.

وفي ما يلي رَصْد لما ورد لدىٰ قطاع من هذه الأدبيات التي عالجت عناصر ثقافة المحقِّق وَفْق إطار تصنيفي:

١- ١٩٨٣م / مُطاع الطَّرابيشي، الذي عالج عناصر ثقافة المحقِّق (ص٣٣) موزَّعة علىٰ قائمتين، هما:

(أ) قائمة صفات المحقِّق، وضمَّت صفتي الأمانة، والصبر.

(ب) قائمة المؤهِّلات العلمية للمحقِّق، وضمَّت: التمكُّن من العلم الذي ينتمي إليه النَّص التُّراثي مَشْغَلة التحقيق، والمعرفة والخبرة بالمصادر.

ومع تقدير أهميَّة هذه الخطوة التي عالجت عناصر ثقافة المحقِّق علىٰ وَفْق إطار تصنيفي راعىٰ البعدَيْن: الأخلاقي والمعرفي، فإن هذه المحاولة جمعت في العناصر المعرفية أو المهارية المختصَّة بعلم التحقيق وأسسه وقواعده.

٢- ٢٠٠٤م/ عبد الله الحوثي، الذي عالج عناصر ثقافة المحقِّق موزَّعة علىٰ قسمين، هما [٢/٥٣٧]:

(أ) شروط وصفات شرعية وسلوكية.

(ب) شروط وصفات علميَّة ومنهجية، ضمَّت هذه القائمة العناصر التالية (إجادة اللغة، والتمكُّن من العلم أو الموضوع الذي ينتمي إليه النَّص التُّراثي مَشْغَلة التحقيق، وقواعد التحقيق).

وفحص معالَجة عبد الله الحوثي تكشف عن التقـدُّم خطـوة نحـو العنـاية بتصنيف عناصر ثقافة المحقِّق، وتكوينه، حيث توزَّعت علىٰ مجموعة من الأقسام المنضوية تحت هذين القسمين المذكورين، فقد عالج تحت القسم (أ) الأمانة والصبر والحيادية، ثم التواضع والالتزام والإفادة من ذوي الخبرة، ثم الغيرة والفطنة ودقَّة الملجوظة، أي إنه عالج هذا القسم في ثلاث مجموعات أو مطالب، وهو نمط عزيز من التوسع لم يظهر من قبل في معالَجات عناصر ثقافة المحقِّق في أدبيات تحقيق النُّصوص التُّراثية في العصر الحديث.

كما عالج في القسم (ب) حُزْمة من العناصر موزَّعة علىٰ عدد من المطالب كما يلي:

- الإلمام بالعربية وعلومها، والإلمام بالموضوع الذي يحقق نصًّا منتميًا إليه.
- الإلمام بأسس علم التحقيق ومناهج البحث وقواعدهما.

ومع هذا التوسُّع غير المسبوق من هذه المعالَجة، فإن الخَلْط بين المعرفي والعلمي، والإجرائي والمهْني، ظلَّ قائمًا.

٣- ٢٠٠٤م/ فخر الدين قَباوة، الذي بدا من معالَجته ما يلزم توافره في المحقِّق رعايته لمبدأ تصنيف عناصر ثقافته، فوزَّعها علىٰ قسمين، هما [ص٥١]:

(أ) السِّمات الشخصية للمحقِّق، وهو تصنيف انطلق من رعاية المبدأ الأخلاقي بالأساس.

(ب) تأهيل المحقِّق، وفي هذا القسم انطلق فخر الدين قَباوة من نقطة تأسيسية اعتمد فيها علىٰ وظيفة المحقِّق بوصفه عالمًا وخبيرًا، وقاضيًا منصفًا.

٤- ٢٠١٦م/ محمد صالح فرحات، الذي عالج عناصر ثقافة المحقِّق وتكوينه موزَّعة علىٰ قسمين، هما [ص٧-٣٥]:

(أ) أخلاق المحقِّق، وتناول تحتها: الأمانة، والصبر، والهمَّة، والتعاون، والإيثار، والإنصاف في النقد وتقبُّله، وعدم حَجْب العلم.

(ب) علوم المحقِّق ومعارفه، وتناول فيها: مبادئ العلوم، مصطلَحات العلوم،

الخطوط، أنماط التأليف، تحصيل علوم العربية، العلم بالكتب وطبقاتها وتمييزه الأصيل من غيره، الاتصال بالمكتبة العربية التُّراثية، التوسع في قراءة تجارِب المحقِّقين.

ويتضح من معالَجة هذه الأدبية انطلاقها من نقطة تستصحب مراحل عمل المحقِّق، التي تبدأ من نقطة اختيار النَّص التُّراثي؛ لأجل تحقيقه، إلى ما بعد تلك المرحلة من المراحل الموزَّعة على التحقيق الابتدائي والتحقيق النهائي.

كما اتضح منها - أيضًا - الحرص على نمط من التفصيل في رصد عناصر ثقافة المحقِّق، ولا سيما في المكوِّن العلمي.

وقد اتفقت هذه الأدبية مع ما سبقها في معالَجة العناصر المعرفية، والإجرائية والصناعية في حيِّز واحد.

٥- ٢٠١٦م/ محمود أحمد مصري، تعدُّ معالَجة محمود أحمد مصري لعناصر ثقافة المحقِّق أوسع محاولة في هذا الباب بمعيار الكثافة المادية؛ إذ جاءت في كتاب كامل مستقلٍّ [ص٥-١٦١]، وأكثرها تنظيمًا وخضوعًا لمبدأ رعاية التصنيف.

وقد توزعت عناصر ثقافة المحقِّق في هذه الأدبية على خمسة أقسام كما يلي:

(أ) ثقافة المحقِّق اللغوية، والاصطلاحية (ويقصد بالثقافة الاصطلاحية ثقافة العلم بالجهاز الاصطلاحي لعلمي المخطوط، وتحقيق النُّصوص).

(ب) الثقافة المنهجية (ويقصد بها قواعد علم التحقيق، ومراحله، وتقنياته وإجراءاته).

(ج) الثقافة المرجعية (ويقصد بها ثقافة المحقِّق العامَّة المتعلِّقة بالتُّراث العربي ومصادره).

(د) الثقافة التاريخية (ويقصد بها عناصر ثقافة المحقِّق المتعلِّقة بظهور التحقيق في تقاليده المعاصرة في البيئة الاستشراقية والبيئة العربية، وجذور هذه التقاليد).

(هـ) الثقافة الأخلاقية (وعالج فيها الأخلاق العامة والخاصة، والوَهْبية والكَسْبية المهمَّة لعمل المحقِّق).

وتبقى معالَجة محمود أحمد مصري - حتى الآن - هي المحاولة الأكثر تنظيمًا على الرغم من إمكان معاودة النظر في جَمْعه بين عناصر ثقافية تحت حيِّز واحد من جانب، وتوزيع مجموعة من العناصر المترابطة على قسمي الثقافة المنهجية والتاريخية من جانب آخر.

- ٤ -

تطور العناية بثقافة المحقِّق في الأدبيات المعاصرة لعلم تحقيق النُّصوص التُّراثية في الممارسة العملية - دراسة حالة

كان للمسار العمليِّ الذي اختطَّه معهد المخطوطات العربية مع بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة متمثلًا في إرادة نشر ثقافة التحقيق من طريق عقد دورات علمية وتدريبية لمن يروم تحصيل هذه الصناعة = أثرٌ مهمٌّ جدًّا في تطوير العناية بعدد كبير من أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية في المجال العربي، وقواعده، وإجراءاته.

وقد اتخذت العناية بثقافة المحقِّق شكلين ظاهرين من أشكال هذا التطور، هما:

أولًا- إفرادها بمحاضرات مستقلَّة ضمن الدورات التي يعقدها لمعالَجة أسس التحقيق، وقواعده.

ثانيًا- إفرادها بدورات كاملة على عدة أيام تحيط بعناصرها وعلاقاتها بغيرها من الأسس والإجراءات.

وفي ما يلي عرض لمخطَّطين نتجا من الاستجابة لأشكال هذا التطوير، في الممارسة العملية المعاصرة؛ يعودان إلى سنة ٢٠١٣م وما بعدها، حيث دعيتُ إلى عدد من المحاضرات حول هذه القضية ضمن دورات عن أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية في:

(أ) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(ب) معهد المخطوطات العربية.

(ج) معهد المخطوطات ومكتبة الإسكندرية في بيت السِّناري، وضمن دورة مستقلَّة عن «محقِّق النَّص التُّراثي» في بيت السِّناري في دورة مشتركة بين معهد المخطوطات العربية ومكتبة الإسكندرية في ١٤-١٦ أغسطس ٢٠١٨م.

١/٤- ثقافة المحقِّق بوصفها أساسًا من أسس علم تحقيق النُّصوص التُّراثية: عرض للعناصر المعالَجة

يلزم عند معالجَة هذه القضية تناول ما يلي:

١- التصوُّر والمفهوم: «ثقافة المحقِّق: هي جُمَّاع ما يلزم لتكوين المحقِّق علميًّا ونفسيًّا وخُلقيًّا ومهاريًّا؛ عند تصدِّيه لنصٍّ تُراثيٍّ بغرض تحقيقه ونشره أو نقد تحقيقه».

٢- عناصر ثقافة المحقِّق (قائمة الشروط أو المكونات):

١/٢- العنصر التأسيسي الأولى:

- الإيمان بالتُّراث (تحليل مقاربة عبد السلام هارون الواردة في كتابه: التُّراث العربي)؛ وتقسيمها على:

(أ) الإيمان الفكري والشعوري.

(ب) الإيمان العملي (ممارسة ونقدًا).

(ج) الحراسة والدفاع عن التُّراث.

٢/٢- العناصر العلمية:

(أ) عناصر تكوين أصيلة وتشتمل على:

- التمكن من مجال الاختصاص الذي ينتمي إليه النَّص التُّراثي محل الاختيار للتحقيق.

- التمكُّن من تاريخ العلم الذي ينتمي إليه النَّص التُّراثي محل الاختيار للتحقيق.

- التمكُّن من العلم بحدود العلم وخريطة قضاياه ومسائله، وموقعه على خريطة تصنيف العلوم وموضوعاتها.

(ب) عناصر تكوين علمية مكملة (فرعية)، وتشتمل على ما يلي:

- إتقان اللغة حاملة العلم في مستوياتها المختلفة.

- العلم بخصائص الكتابة العربية، وسماتها، وتطورها.

- إتقان فقه اللغة (الفيلولوجي).

٣/٢- عناصر التكوين النفسي، وتتضمَّن معالَجة ما يلي:

- الصبر والتحمُّل.
- التضحية والبذل.

٤/٢- عناصر التكوين الأخلاقي، وتتضمَّن ما يلي:

- الأمانة العلمية من المنظور الشرعي والأخلاقي.
- التواضع.
- الوفاء للقدماء.

٥/٢- عناصر التكوين المهاري في صنعة التحقيق، وتتضمَّن ما يلي:

- تحصيل أصول التحقيق، وأسسه وقواعده، ومناهجه، وإجراءاته.
- متابعة حركة النشر للتراث المحقَّق.
- تحصيل أنظمة تصحيح النُّصوص التُّراثية وتنظيمها.
- تحصيل مهارات تنسيق النُّصوص التُّراثية، وتحريرها وإخراجها.

٣- ثقافة المحقِّق بوصفها أساسًا من أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية: خطاب الوظائف.

إن تحليل وظائف ثقافة المحقِّق في نظرية تحقيق النُّصوص التُّراثية مهمَّةٌ جدًّا من جانبين، هما:

أولًا: الإقناع بجدواها، وأهميتها.

ثانيًا: ضبط ممارستها، والسعي إلى تحقيق جودة معالَجتها تنظيرًا وتحصيلًا.

ويمكن تلخيص الوظائف المرجوَّة من العناية بتأصيل عناصر ثقافة المحقِّق، وتحصيلها في ما يلي:

(أ) السعي إلى تحقيق أعلى مستوى من مستويات تصحيح النَّص، ومطاردة أشكال التصحيف والتحريف.

(ب) السعي إلى تحقيق أعلى مستويات معالَجة النَّص والتعليق على مسائله وتوثيق مكوناته الصغرى (وهي وظيفة بنائية تستهدف الغاية المركزية من عمل المحقِّق).

(ج) تحقيق الموثوقية لدى متلقِّي النَّص المحقَّق، وهي وظيفة نفسية، ومقاصدية (دينية) وحضارية.

(د) الإسهام في تطوير العلم بإخراج نصوصه في المجالات المختلفة صحيحة متقنة (وهي وظيفة معرفية وحضارية).

٢/٤- ثقافة المحقِّق في المعالَجة المستقلَّة للقضايا المتعلقة بمحقِّق النَّص التُّراثي: عرض للعناصر المعالَجة

مثلت دورة ثقافة (محقق النَّص التُّراثي) التي انعقدت أعمالها في بيت السناري في الفترة من ١٤-١٦ أغسطس ٢٠١٨م بشراكة بين معهد المخطوطات العربية ومكتبة الإسكندرية = خطوةً مهمَّةً جدًّا على طريق تطوير دراسة هذه القضية التي ظلت مهمشة ومضطربة لزمان طويل من عمر التنظير والممارسة معا لقواعد علم تحقيق النُّصوص التُّراثية في المجال العربي المعاصر.

١/٢/٤- وتحليل تصميم هذه الدورة يكشف عن تأثير لمعالَجة محمود أحمد مصري التي صدرت عن سلسلة روافد بالكويت ٢٠١٦م؛ إذ توزعت محاضرات الدورة هذه على ما يلي:

(أ) صفة التحقيق (مدخل).

(ب) ثقافة المحقِّق اللغوية والاصطلاحية.

(ج) ثقافة المحقِّق المنهجية.

(د) ثقافة المحقِّق المرجعية.

(هـ) ثقافة المحقِّق التاريخية.

(و) ثقافة المحقِّق الأخلاقية.

٢/٢/٤- ثقافة المحقِّق اللغوية والاصطلاحية: استعراض العناصر

١- مدخل: الوعي بتطور معالَجة المسألة من منظور صناعة التحقيق: «عناية حسين نصار للخصوصية اللغوية في المجال/ عناية المهدي بن محمد السَّعيدي (جامعة محمد الخامس) في مقالته: أهميَّة المعرفة اللغوية في تحقيق النُصوص التُّراثية/ وعناية جعفر بن الحاج السُلمي في مقالته: تحقيق النُصوص التُّراثية والمستويات اللغوية».

٢- عناصر ثقافة المحقِّق اللغوية، وتسويغ العناية بتحصيلها:

(أ) لماذا العناية بعناصر الثقافة اللغوية؟ (النَّصُّ نسيج لغوي).

(ب) عناصر هذه الثقافة:

- تحصيل العلم بعِلْم الرَّسم (الخط).
- تحصيل العلم بعِلْم التصريف.
- تحصيل العلم بعِلْم النحو.
- تحصيل العلم بعِلْميِّ الدَّلالة والمعجم.
- تحصيل العلم بالأساليب العربية
- تحصيل العلم باللَّهجات ولغة العلوم.

٣-عناصر الثقافة المصطلَحية

تحتمل الثقافة المصطلَحية حملها على مسارين، هما:

(أ) ما يحيط بعلم التحقيق من مصطلَحات (من معالَجة محمود مصري)، ويتوزَّع على ما يلي:

- مفهوم المخطوط.
- الجهاز الاصطلاحي المطيف بالمخطوط والتعامل معه.
- مصطلَحات علم تحقيق النُصوص التُّراثية.

(ب) ما يتعلق بلغة الاصطلاح، وهو مفهوم محتمل من سياق العطف في عنوان القضية / المحاضرة، ويتوزع على ما يلي:

- تحصيل العلم بمعاجم المصطلَحات التُّراثية، وكيفية التعامل معها.
- طبيعة اللغة الاصطلاحية (المفهوم، والمصادر، والتعامل، والفروق).

إن تحليل مراحل العناية المعاصِرة بمشكِل ثقافة المحقِّق في أدبيات علم تحقيق النُّصوص التُّراثية في التقاليد العربية المعاصرة يكشف عن جملة من المحدَّدات، يمكن إجمالها في ما يلي:

أولًا: استصحاب تاريخ طويل من جذور الوعي بالمسألة وعناصرها في تاريخ هذا العلم في تراث المسلمين.

ثانيًا: التداخل الظاهر للخَلْفيَّات المعرفية، والأخلاقية، والإجرائية، والوظيفية الغائية، بصورة حكمت المعالَجات غير المصنَّفة لعناصر ثقافة المحقِّق، كما حكمت المعالَجات المصنَّفة أو المستقلَّة لهذه العناصر.

ثالثًا: تصدير الشُّعور بتشعُّب العناصر، وصعوبة تحصيلها؛ لدرجة قد تجرُّ آثارًا سلبية على جماهير المحقِّقين من الأعمار السِّنية الشابَّة ومتوسطة العمر.

وهذا الشعور السَّلبي المحتمَل مرجِعُه غيابُ تحرير مفهوم «ثقافة المحقِّق» في كل المعالَجات المعاصرة، ثم غياب تنظيم هذه العناصر تحت كليَّات محكومة بتحليل منطقي يحيط بخدمة عملية تحقيق النُّصوص المتمثِّلة المطيفة بما يلي:

(أ) النَّص التُّراثي (الموضوع/ اللغة/ والخط، ومنهج تأليفه).

(ب) الوعاء المادي الحامل للنص (المخطوط/ المطبوعات الأولى: الظَّهرية/ خوارج النَّص).

(ج) المحقِّق (التكوين النفسي / الأخلاقي/ العلمي).

(د) المصادر (العامة الخاصة) لإنجاز عمليات التحقيق الابتدائية والنهائية.

(هـ) مؤلِّف النَّص التُّراثي (ترجمته)

(و) مجال النَّص أو حَقْله المعرفي وتطوُّر التأليف فيه.

خاتمـة

إنَّ التطور الذي يسير فيه علم تحقيق النُّصوص التُّراثية في المجال العربي المعاصر مَدينٌ لعدد من المؤسسات بالأساس في دَفْعه نحو مناطقَ بكْرٍ غيرِ مأنوسةٍ ولا محروثةٍ من قبل.

وقد طال عمليةَ الدفع هذه قضيةُ ثقافةِ المحقِّق، وقد سعت هذه المقالة إلى رصد ملامح تطور معالَجة هذه القضية في الأدبيات العربية المعاصرة لعلْم تحقيق النُّصوص التُّراثية.

وكان من نتائج هذه المعالَجة ما يلي:

أولًا: تطور دراسة ثقافة المحقِّق في التقاليد العربية المعاصرة، وظهور ذلك في ثلاث مراحل، هي:

١- مرحلة الشُّعور الخافت بأهميَّة القضية لدى جيل الرواد.

٢- مرحلة المعالَجة المختلطة والمضطرِبة والمشعَّثة لدى الجيل التالي لجيل الرواد.

٣- مرحلة المعالَجة المستقلَّة (الموجَزة والموسَّعة)، وقد ظهرت مع بدايات العقد الثاني من عقود الألفية الثالثة في مصر وسورية.

ثانيًا: يمثل غياب نقد الأعمال التَّنظيرية أو الأدبيات العربية المعاصِرة المعْنيَّة بقواعد علم تحقيق النُّصوص التُّراثية، أحدَ أهمِّ أسباب تأخُّر تطوير مبحث «ثقافة المحقِّق».

ثالثًا: يمثِّل غياب الفَرْز النوعي على خَلْفيات إدراك الفروق بين الإبِسْتمولوجي (المعرفي) والإكسيولوجي (الأخلاقي)، سببًا في الخلْط الذي كان مستفحِلًا في المعالَجات المضطربة لعناصر ثقافة المحقِّق في أدبيات التنظير لعلم تحقيق النُّصوص في بدايات ظهورها في العصر الحديث في التقاليد العربية

رابعًا- أسهم معهد المخطوطات العربية بدءًا من سنة ٢٠١١م بشكل ظاهر في الدفع

نحو تجديد فحص عناصر ثقافة المحقِّق، وتطويرها، وتعميقها من طريقين ظاهرين، هما:

(أ) طريق معالَجتها بوصفها أساسًا ضمن أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية على ما يظهر من (أسس تحقيق النُّصوص التُّراثية) المنعقدة في ٢٨ يناير ٢٠١٨م في إستانبول، عندما خصَّص لثقافة المحقِّق محاضرتين، هما:

- أخلاق المحقِّق (القِيَم والعمل).
- ثقافة المحقِّق (التكوين المعرفي/ والعلمي).

(ب) طريق معالَجتها في دورة مستقلة، مغلَقة عليها، تضمَّنت خمسة محاور، هي:

- الثقافة اللغوية والمصطلَحية.
- الثقافة المنهجية
- الثقافة المرجعية.
- الثقافة التاريخية.
- الثقافة الأخلاقية.

خامسًا- شكَّل غياب دراسة قضية ثقافة المحقِّق، وغياب تحرير مفهومها، ومراجعة الأدبيات التي نظرت لها = واحدًا من أسباب استمرار الخلْط والاضطراب في دراستها وإن تفاوتت درجات هذا الاضطراب مع مرور الوقت.

* * *

المصادر والمراجع

- أخلاقيات التحقيق، مجلة التفاهم، ع (٥٢) لسنة ١٤ ربيع ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.
- بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربية، لحسن الشافعي، (ص١٠٨)، حولية دار العلوم، بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- تحقيق التُراث العربي، منهجه وتطوره، لعبد المجيد دياب، المركز العربي للصحافة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، كتاب رقم ٢٠٥م سنة ١٤٢٠هـ مصورة عن طبعة الرياض، ١٩٩٥م.
- تحقيق النُصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٤، سنة ١٩٧٧م.
- التُراث العربي، لعبد السلام هارون، سلسلة كتابك، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٨م.
- ثقافة المحقِّق، لعصام الشَّنْطي، ضمن محاضرات دورة المخطوطات، جامعة القاهرة، مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٩م.
- ثقافة المحقِّق، لمحمود أحمد مصري، ط١ ٢٠١٤م، صدر ٢٠١٦م، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، كتاب رقم ١١١.
- ثقافة محققي التُراث، ضمن كتابه إحياء التُراث، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠١٧م.
- دليل المحقِّقين والباحثين في تحقيقاتهم وأبحاثهم، دار العلا، القاهرة، ٢٠١٤م.
- علم التحقيق للمخطوطات المعرفية، لفخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، سورية، ٢٠٠٤م.
- كتاب الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٤م.
- محاضرات في تحقيق النُصوص، دار المنارة، المدينة المنورة، ١٩٨٤م.
- معالم الطريق إلى البحث والتحقيق، لعبد السلام محمد عبده، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- مفهوم التحقيق الغاية والأداة، لمحمد صالح فرحات، دار الفاروق، المنصورة، مصر ٢٠١٦م.
- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، لمحمد ألتونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- منهج البحث وتحقيق النُصوص، ليحيىٰ الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- منهج تحقيق النُصوص، لفؤاد عبيد، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، ٢٠١٥م.
- منهج تحقيق المخطوطات، لمطاع الطرابيشي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.
- منهج تحقيق المخطوطات، لإياد الطباع، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.

